

الامانة العامة  
منظمة المؤتمر الاسلامي  
صندوق التضامن الاسلامي  
جدة

# الاسلام والنظام الاقتصادي الدولي الجديد البعث الاجتماعي

وثائق وابحاث مقدمة للندوة المنعقدة في جنيف  
من 7 الى 10 جانفي 1980

تحت اشراف : منظمة المؤتمر الاسلامي  
( صندوق التضامن الاسلامي ) بمشاركة  
وتنظيم من منظمة العمل الدولية ( المعهد  
الدولي للابحاث الاجتماعية )

دار سراس للنشر  
تونس



## المحتويات

صفحة	المؤلف	عنوان المقال
1		تمهيد
3	د. ظفر الاسلام	خطاب الافتتاح
9	مصطفى الفيلاي	تقديم الملتقى
17	د. محمد السويسي	الدين والعلم والتربية
27	د. موريس بوكاي	الدين والعلم والتربية
35	د. غوث الانصاري	التحديث والتغريب
51	د. هشام جعيط	من الاصلاح الى الثورة الاسلامية السلطة والحرية والحقوق الفردية
59	د. عزة شام	في الاسلام
67	السيدة ياسين	المرأة في المجتمع الاسلامي
87	د. اسماعيل الفاروقي	الاسلام والعمل
113	د. محمد احمد صقر	دور الدولة والاقتصاد في الاسلام
125	د. سيد نواب حيدر نقي	وجهة نظر اسلامية في التنمية
135	د. احمد خرشيد	استراتيجية التنمية في وجهة نظر اسلامية
153	د. رفعت العوضي	اقتصاديات العمل والاجر في الاسلام
169	د. ماجد كيلاني	دور الاسلام في حل مشكلات المجتمع المعاصر
179	مصطفى الفيلاي	مقترحات بشأن مشروع التعاون
183		عرض المناقشات
203		جدول المشاركين



## تمهيد

قام المعهد الدولي للبحوث الاجتماعية باعانة الصندوق القار للتضامن الاسلامي لدى منظمة المؤتمر الاسلامي بتنظيم ملتقى شعاره الاسلام والنظام الاقتصادي الدولي الجديد (البعد الاجتماعي). تمت اعمال هذا الملتقى بجنيف من 7 الى 10 جانفي 1980 وقد ضم قرابة الستين مشاركا جلهم شخصيات قادمة من اهم مناطق العالم الاسلامي. كما شارك الى جانب ذلك في هذا الملتقى البعض من اشهر الاختصاصيين في دراسة الاسلام.

لاحظ السيد (البير توفود جري) مدير المعهد في كلمة الافتتاح انها اول مرة يوافق كل من مجلس المعهد ومجلس الادارة لمنظمة العمل الدولية على مشروع يرمي الى النظر في دور العوامل الثقافية في التنمية وآثارها فيها. مشيرا الى تصور ما قام من جدال حول اعادة بناء النظام الاقتصادي الدولي وهذا لكونها تتركز اولا واخرا على الفلسفة الغربية للتنمية.

وقد آن الاوان حسب السيد توفود جري لاعتبار خطط اخرى في بناء هذا النظام ولمنح اكثر اهمية للعوامل الاجتماعية والثقافية والدينية عند القيام باختيار السياسات التنموية، ورجا ان يشكل هذا الملتقى محاولة اولى لتدبر هذا الوضع، لافتنا الانظار الى الاثر البالغ الذي تحدثه على الصعيد الدولي ديانة كبرى دولية كالدين الاسلامي على تطوير السياسة الاجتماعية والاقتصادية. وقد اقيم الملتقى لزيادة التعريف بالتفكير الاسلامي كي يلعب دورا أ هم في وضع سياسات اجتماعية ترمي الى نظام اقتصادي دولي جديد يكون اكثر ازدهار واوفر عدلا.

قام المشاركون في الملتقى بالنظر في ثلاثة محاور :

- الثقافة الاسلامية : اصولها ومستقبلها
- الدولة والمجتمع : نحو مجتمع الاصالة
- الاقتصاد والتنمية : المجتمع الاسلامي امام النظام الاقتصادي الدولي الجديد.

يحتوي هذا الكتاب على وثائق العمل المعروضة اثناء بحث كل واحد من هذه المحاور مشفوعة بعرض وجيز للمداولات.

ان الآراء المعبر عنها في هذه الوثائق لا تلزم الا كاتبيها والمشاركين في الملتقى، وهي لا تمثل حتما آراء المنظمات المقيمة للندوة.

واملنا ان يشكل هذا الملتقى نقطة الانطلاق لمشروع اعم حول الاسلام والسياسة الاجتماعية وهو الموضوع الذي تم التحوار فيه وضبط برنامجه خلال هذا التجمع.

## خطاب الافتتاح

السيد ظفر الاسلام

امين عام مساعد لمنظمة المؤتمر الاسلامي

سيدي مدير المعهد الدولي للبحوث الاجتماعية  
سيدي المدير المساعد للمجلس القار لصندوق التضامن الاسلامي  
اصحاب المعالي  
سيداتي انساني سادتي

يشرفني ويسرني في آن واحد ان اشارك بالنيابة عن السيد الحبيب الشطي الامين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامي، في الافتتاح الرسمي لهذا الملتقى الفريد من نوعه في تاريخ المنظمة الدولية للعمل والخصص للنظر في مسألة جد مهمة ومعاصرة وهي قضية «الاسلام والنظام الاقتصادي الدولي الجديد : البعد الاجتماعي». لهذا اريد ان افرد كلماتي الاولى للتعبير عن عميق الشكر باسم الامين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامي الى السيد (البير توفود جري) مدير المعهد الدولي للبحوث الاجتماعية للبادرة الطيبة التي حملته على ادراج هذا المحور ضمن نشاطات المعهد.

وهذه المبادرة هي تماما مطابقة سيدي المدير الى عملكم الخاص. ان اشعاع اعمالكم وبحوثكم والسلوك النضالي الذي اتخذتموه تجاه حلول اقتصادية تكون في آن واحد حلولاً اجتماعية ودية لمقتضيات الذاتية الثقافية. وذلك قبل ان تظهر فكرة النظام الجديد داخل التجمعات الدولية — كل هذا العمل الشخصي يؤكد لنا — نحن القادمين من بعيد — ان دورة جنيف ستتمتع بالقدر الكبير من الضبط في التفكير، وبكل مظاهر التفاهم الانساني اللازمين مع احترام اراء الغير وسيحدوها اليقين المشترك بان الاقتصاد هو اولا ظاهرة ثقافية تندرج داخل مجموعة اوسع. ومن العدل ان ننوه بالحدق والمقدرة المبذولين من جانب السيد المدير ومساعديه الكرام في تحضير هذا الملتقى.

ولا انسى ايضا ان انوه بالمشاركة الثمينة التي قدمها المجلس الدائم لصندوق التضامن الاسلامي لاقامة هذه الندوة وترسيمها ضمن جدول نشاطاته الثقافية. واني لسعيد بتقديم احر تحياتي لهذا المجمع الكريم المكون من المع الشخصيات واشهرها.

اتقدم من هذه المنصة الى مجتمعكم الكريم ببالغ التائر لا مجرد أن المسألة التي سيدور الحوار حولها تتصل بمشكلة من المشاكل الأساسية التي تعني منظمة المؤتمر الاسلامي بالنظر فيها بل وخاصة لأن الإرادة التي لمسناها تبرهن من الان عن انتهاء سؤ التفاهم بل وبالآحرى التعصب الذي لم يزل يبيديه الغرب مدة طويلة تجاه الفكر الاسلامي بصفة عامة. اود ان اعتبر تنظيم مثل هذا الملتقى وما سيرتب عنه من نشاطات قادمة للمعهد في نفس الاتجاه كبرهان على التفتح في وجه اعلى طبقات الفكر واكبر المجالات الثقافية والروحية في العالم. وبالمضي في هذا الاتجاه سيكتسي المعهد لا محالة بعدا جديدا يجعل اعماله اكثر عمقا واشعاعا.

سيفضي هذا الاتجاه بعد مواصلته وتطويره الى نظرة اجتماعية اقتصادية كلية وتنتهي بالتالي الى اقامة النظام العالمي الجديد المتعدد الابعاد والذي لا يزال مطمحا لمعظم الدول الاعضاء في منظمة الامم المتحدة. ولا اريد هنا ان اسبق مداولاتكم ولا ان اتعرض بتفصيل الى النقاط المسجلة في جدول الاعمال للملتقى فان اختيارها الحصيف يجعل اصحابها جديرين بالتقدير والاحترام. لكن اسمحوا لي ان ادلي ببعض الملاحظات راجيا ان تكون مشاركة متواضعة في الحوار الذي سيقام. وسانطلق في اول الامر — من ملاحظة واقعية اولى وهي ان جل البلاد الاسلامية هي في عداد العالم الشاسع الشامل للبلدان السائرة في طريق النمو او النامية وانه ليحقق التنديد بالفكرة الواسعة الانتشار التي تحمّل الاسلام وثقافته المرموقة بالامس وتراثه الزاخر مسؤولية ما تقاسي منه المجموعة الاسلامية في الوقت الحاضر من النقائص العديدة وفي اغفال الآثار والحن والصدمات في التاريخ الحديث التي لحقت بشعبونا كما ان فيه تجاهلا للمظالم التي كابدوها ولا يزالون — للأسف — يعانون منها. لا محالة ان الظروف التي تمر بها العلاقات الدولية تعين على تركيز بعض الاحكام المسبقة. لكن هل يتبرر هذا الموقف السلبي ازاء الاسلام والدول الاسلامية وازاء بعض دول العالم الثالث عند انقضاء الازمة؟ لا اعتقد ذلك. من المؤكد ان هذا الموقف ناتج سواء عن عدم معرفة للحقائق الاسلامية ولاصول ثقافة العالم الاسلامي او عن تاويل مجحف للتحويلات التي تحدث في كامل ارجاء عالمنا، وهو ناتج ايضا عن الكثير من سوء التفاهم السائد في العلاقات الدولية. ومن كل هذه الحالات سيكون للتاريخ ان يشهد يوما ما بان العديد من الامم كانت هي انفسها ضحايا لمؤامرات حيكت في الخفاء ولا ادل على ذلك من الحملات الصحافية المعادية المنظمة من حين الى حين من طرف بعض القوى الماكرة ضد هذا او ذاك من البلاد الاسلامية مغذية بذلك موجات التوتر عوض ان تسعى الى تغليب سلطان العقل والحكمة.

ساحاول من خلال ملاحظتي الثانية ان اجث هذا الموقف السلبي ازاء الاسلام، وهو ناجم عن النظرة المتعصبة الضيقة المحدودة للافاق الدولية الجديدة. وحقيق بنا التذكير بان هذه النظرة الرامية الى فرض نمطها في العيش وفي التفكير على الشعوب الاخرى للعالم قد ظهرت في اوروبا منذ حوالي قرنين فتوصل اصحابها بعد حوادث دامية عديدة الى اقامة قطيعة بين امور الدين وامور الدنيا وقد تولدت هذه القطيعة عن الازمات التي حصلت عندما تصدت الكنيسة للاكتشفات والتطور العلمي من ناحية والى التفكير السياسي التحريري من ناحية اخرى. لايد من التسليم بان الاتهامات الموجهة انذاك ضد الكنيسة في شأن العلاقة بين العلم والدين ودور رجال الدين وسلط الكنيسة فيما يخص المشابكات القائمة بين المذاهب الدينية كانت لها في بعض الاحيان الكثير من المبررات. فلقد تم في بعض البلدان القضاء تماما على الدين وحصل الفصل بين الدولة وبين فلسفة الحكم في بلدان عديدة اخرى. اما الاسلام، سيداتي اوانسي سادتي، فهو لم يتعرض لمثل هذه المعاملات اذ هو في آن واحد نظام حكم ونمط عيش. يرتكز على وحدة للعالم لا تعلوها الا احدية الخالق التي يتعلق بها المسلمون شديد التعلق وقد كان الاسلام دائما حريصا على مفهوم الوحدة : وحدة الله ووحدة الانسان الفاعل المسؤول ووحدة المجموعة الاسلامية التي لم تزل تحدها ارادة قوية للانسجام والتوحد.

التوحيد هو من دون شك حقيقة روحية ومبدأ مطلق تتشكل به جميع مظاهر الحياة الاجتماعية. بهذه الصورة لا تبقى الوحدة مجرد فكرة تسبح في الماورائيات بل يكون لها اثرها في الحياة اليومية وهي تشكل العلاقة الرابطة بين العالم الماورائي او المجال الروحاني من ناحية والحياة اليومية وانماط العيش بما فيها من عمل ونتاج وتجارة وما يتبعها من انظمة ومن حقوق وفنون من ناحية اخرى. كل هذا يجعل من المجموعة الاسلامية وحدة حية.

كما ان التمييز العنصري بعيد كل البعد عن روح الاسلام فهو يحث دائما على المساواة بين الناس وعلى الحوار بين الشعوب فالتسامح والعدل والحرية الذاتية مبادئ ما فتىء الاسلام يدعو اليها ويناصرهما ويعمل على ارسائها.

وتنص الشريعة الاسلامية ايضا على منح الحق لكل انسان في العمل كما تعترف له بالحق في ثمرة ما ساهم فيه من عملية التنمية . وهذه النظرية — اذا صح التعبير — لا تعرف السلبية اذ جاءت متممة وخاتمة لكل الرسائل السماوية التي سبقتها. ومن هنا اكتسب الاسلام طابعه الشمولي الكوني. يشير القرآن الكريم في اماكن عديدة الى هذه الكلية الشمولية اذ يطلب من الرسول في سورة الاسراء ان يعلن انه مبعوث من الله الى البشرية كافة.

تنطلق ملاحظتي الثالثة، المرتكزة على الواقع، من الوضع الناتج عن التطور الضئيل الحاصل في طريق بناء نظام عالمي جديد. وتأخذ بعين الاعتبار الشك الذي عبر عنه مفكرون عديدون في ضعف نجاعة بعض البرامج الموجهة للعالم الثالث.

وهو وضع حرج للمجموعة العالمية فيه ابتلاء للمبادئ السامية التي ما فتئت تعلن عنها وللطاقات الكبيرة التي ما انفكت تبذلها وتسخرها في غير جدوى، ورغم كل هذا فلا داعي للياس.

ولا نستبعد حلا ناجعا لهذا الوضع حتى ولو لم يكن ذلك الحل في متناول ايدينا. يقتضي تحقيق هذا الحل ان تقوم ارادة سياسية قوية تجهل التخوفات التي لا مبرر لها وتقيم مبادئ التضامن والحوار في مكان التخاصم والتنازع كما يقتضي حل المشكلات العويصة للتنمية الاجتماعية موقفا واقعيا وعمليا يعالج كل منطقة ثقافية حسب قيمها الاخلاقية والروحية الخالدة.

في المجال التاريخي استطاعت الحضارة الاسلامية ان تفتتح على كل الثقافات الاخرى، وقصد الاشعاع في جميع مجالات المعرفة استفاد العالم الاسلامي من فتوحات الفكر اليوناني والفارسي، ومع انكاره الشديد لكل انواع التمييز فان الاسلام يقبل الخصوصية المعبرة على الاصالة الثقافية.

من اجل ذلك كانت الاثنان والاربعون دولة اسلامية اعضاء منظمة المؤتمر الاسلامي تسعى الى حل مشاكل التنمية الاقتصادية والاجتماعية وهي مشاكل متشابهة بينها. مع ما يكتنفها من معطيات وتحديات خاصة بكل دولة.

وقد تمكنت المنظمة، بعد عشر سنوات من انبثاقها من ان تنشئ التنظيمات الهيكلية وتقوم بالنشاط المعبر عن ارادة مشتركة ترمي الى ارساء قواعد التعاون والتضامن بين الدول الاعضاء، وتعتبر في نفس الوقت على ما لشعوبها من ذاتية مشتركة.

وتهدف هذه المنظمة على النطاق الدولي الى المشاركة الفعالة في تدعيم تضامن دولي مثمر من شأنه ان ينشئ نظاما عالميا جديدا منصفًا وعادلا في الميدانين الاقتصادي والاجتماعي.

اذا اردنا تلخيص الامور الاساسية يمكن لنا القول ان النظام الجديد لا يحصل الا

إذا أخذنا بعين الاعتبار في آن واحد كل المقومات الآتية بدون إهمال لواحدة منها وهي : الجانب الاقتصادي والجانب الاجتماعي مع احترام الذاتية الثقافية ومنح كل الفرص الممكنة للعنصر البشري ليحقق إنسانيته ويصل إلى ذروة ما تمكنه استعداداته من الوصول إليه الأمر الذي يتجاوز عملية إشباع حاجياته المادية التي لا بد من تحقيقها.

ولذا نرحب كل الترحيب بالبادرة الطيبة التي قام باتخاذها المعهد الدولي للبحوث الاجتماعية، ونراها تندرج ضمن الجهود المشتركة الرامية إلى توعية الضمير العالمي إزاء المشاكل التي يتخبط فيها العالم في الوقت الحاضر. ولا يتنافى هذا الوعي الجماعي مع خصوصيات كل مجموعة من الأسرة الإنسانية فيصبح وعياً بالقيم الثقافية التي تختلف باختلاف طرق المعيشة.

ففي هذا النطاق بالذات يجب أن نقيم الصحوة الإسلامية التي يتردد الحديث عنها في يومنا هذا. وانت يا سيدي المدير، اجدر الناس بأدراك هذه الحقيقة على وجهها. ذلك أن الفكرة الأساسية للتفكير الاجتماعي الإسلامي هي القائلة بأن التنمية والعمل والربح والفروة كل ذلك ينبغي اعتباره في مدلوله الاجتماعي وأرجاعه إلى أصوله الحضارية. ولا يصح النظر إليه بمعزل عن هذه المدلولات وذلك ما تشهد به أبحاث السيد البار تيفود جري. فهو في الصفحات الأولى من كتابه الذي عنوانه : «الكفاف ثروة الشعوب» يستشهد بالإسلام ويقول أن : الإسلام يمدنا بمراجع متنوعة في الغرض وهو في الفصل المعقود بعنوان «اذلال المال» أو الذي بعنوان «إعادة اكتشاف الاقتصاد» يوجه النقد النافذ للتقليد ولنقل التكنولوجيا في ذاتها وعلى كل فان التقاء تفكير المؤلف بمعاني الإسلام عديدة.

وأملي أن تشكل هذه البادرة نواة لعمل مستمر يوصل إلى تدعيم التعاون بين منظمة المؤتمر الإسلامي وبين منظماتكم ومثيلاتها.

وآمل أيضاً أن تفضي أعمالكم إلى توضيح الوسائل الكفيلة بمعالجة المشاكل العويصة التي يقاسي منها المجتمع المعاصر وذلك بفضل الفلسفة الاقتصادية الاجتماعية للإسلام.



## تقديم المتلقى

مصطفى الفيالي

المستشار المسؤول عن تنظيم المتلقى

1 — ليس غريبا ، ولا من باب الصدف ، ان نتعقد مثل هذه الندوة عن الفكر الاسلامي في مثل هذه الظروف التاريخية ، وفي هذه المؤسسة الدولية بالذات المتخصصة في الابحاث الاجتماعية . وهذه العاصمة لبلد مسيحي ، فقد كبرت العناية في هذه العشرية السابعة وفي الاوساط المسيحية ، بالعقيدة الاسلامية كمرجع فكري يتكيف به السلوك ، وبالامة الاسلامية كقوة اقتصادية واجتماعية يزداد دورها اهمية في مصير المجتمع المعاصر .

ومن انطبعي ان تختلف بين المجتمعات الغربية المعاصرة اسباب تلك العناية ، وهذا الكلف المفاجيء ، وان تتباين دواعي هذه الطفرة من الاهتمام ، وكذلك من الطبعي ان تتفاوت في هذه الاوساط درجة التجرد عن الاغراض المسبقة ونصيب الاخلاص للحق فيما يطلب من معرفة عن الغير .

ولا سبيل الى نكران ما للامة الاسلامية في الشرائط المثقفة من اجيالها من انشغال بالصورة التي يشهدون رواجها بالمجتمعات الغربية بسبب الوسائل الاعلامية ، عن اصول دينهم ومظاهر حضارتهم الفكرية ، وعن تأويل تاريخهم ، وما كان لأعلامهم من دور في البناء الحضاري للبشرية ، وما ينبغي ان يكون لهم من دور في المجتمع المعاصر .

وهي في نظر المسلمين عامة ، عناية مفاجئة ، وليدة للازمة الكبرى التي يشهدها المجتمع المعاصر في جميع المقومات الاساسية للنمط الحضاري الشائع ، واذا نحن لم نكتف بالمظاهر الظرفية لهذه الازمة ، مثل قضية الطاقة وتزايد اثمان النفط منذ بضع سنين ، او قضية الحوار السياسي — الاقتصادي بين الشمال والجنوب ، فان لهذه الازمة جذورا عميقة اساسها الشك المتزايد في القيم الحضارية التي انبنت عليها حضارة المجتمع المعاصر ، والسعي الى طلب القيم البديلة ، التي قد تعين على فك القيود ، والى تعديل السير وتجديد الافاق ، في وجه المجتمع البشري . ومن السبل الممكن سلوكها في هذا السعي لطلب القيم البديلة ، استجلاء طاقات الفكر الاسلامي ، واستردار ينابيع الثقافة الاسلامية عساها ان تعين على بعض الحلول للازمة الحضارية المستفحلة .

وفي هذا الغرض بالذات نشأت فكرة المشروع الذي يتبناه المعهد الدولي للدراسات الاجتماعية ، وتحمس لها مديره العام واستجاب لها عدد من الوزراء بالحكومات الاسلامية ثم شملها برعايتهم البعض من رؤساء الدول الاسلامية : ان يكون للفكر

الاسلامي دوره على قدر ما المؤسساته من مشاركة ولرجالاته من عزم ، في ضبط المقومات الكبرى للازمة الحضارية بالمجتمع المعاصر ، وفي الاعانة على ايجاد الحلول الممكنة والتمسيرة لهذه الازمة .

والحقيقة الكبرى المستمدة من مقومات الثقافة الاسلامية ان عناية الاسلام بمشاكل الانسان في حال معاصرته ليست اليوم بالامر المستحدث ، ولا كانت بالامس في الحقبات المتواليه من تاريخ هذا الدين السماوي المنزل . بل ان وضع هذه الموازنة على هذه الصيغة من التمييز بين مشاكل الحياة المعاصرة في محتوياتها الاقتصادية والاجتماعية ، من جانب اول ، وبين قضايا اصولية تمهم العبادة وصله الانسان بخالفه ومصيره غدا من وراء الحياة الدنيا من جهة ثانية ، انما هي معادلة غريبة عن شمول الفكر الاسلامي في اصوله الاساسية ، وهي ناتجة عن التنظير بين الثقافة الاسلامية من جهة وبين الثقافة الغربية في اصولها الموسوية — المسيحية من جهة ثانية . انما ذلك هو من باب اطلاق الطابع الثقافي العام للمجتمع المعاصر على ثقافة خاصة ، هي ثقافة الاسلام ، وهو من باب القياس ، القائم اساسا على رفض الذاتية المميزة وعلى انكار الغيرية المنفصلة .

وأولى خطوات العمل الفكري يحسن التذكير به في بداية هذا الملتقى هو ان الغنم المطلوب من الثقافة الاسلامية للاعانة على حل مشاكل العصر انما يكمن فيما للفكر الاسلامي من طابع مميز عن الثقافة السائدة في المجتمع المعاصر . وكذلك الشأن بالنسبة لكل ثقافة : لا تكون مشيرة للفكر الانساني الا بقدر ما تتميز به من معالم الطرافة والغربة ، ويقدر ما تطوي عليه من كفاءة الانفصال عن ثقافة الاستلاب والاستيلاء ، التي شهدت ازمت المجتمع المعاصر انها مجحفة بانسانية الانسان ، سالكة به نهج الحيرة والفاقة والغبن ، عاجزة عن أن توفر له الطمأنينة وأن تسلك به مناهج الرقي الحضاري الاصيل .

الواقع الملموس في مجتمعتنا المعاصر ان الحوار بين الثقافات المختلفة يكاد يكون معدوما او هو يجري في سبيل منسدة مغلقة . فقد طغت على الفكر الانساني منذ انبعث النهضة الصناعية ، ثقافة تقنية ، مطبوعة بطابع الفكر الموسوي — النصراني ، تقوم على اساس التسليم بينثائية المعرفة بين اصناف علمية صحيحة ، قابلة للتقدير الكمي ، ومتيسرة لسيطرة الرياضيات ويقينها المحدود ، وبين اصناف من علوم الانسان ، مستعصية عن التقدير الكمي ، ومفضية الى معرفة ظنية او ذات يقين من جنس حدسي .

وقد فازت العلوم الصحيحة بالمرتبة الاولى في الثقافة الانسانية ، وفي برامج التعليم والتدريس ، واصبحت العلوم الانسانية متهمة بانها علوم هامشية لا تؤدي الى نجاح الفرد

في حياته ، ولا الى رقي المجتمع في اسباب عيشه ولا الى قوة الامم في مراتب السياسة ومنازل الجاه والنفوذ .

بحكم هذه الثقافة التقنية الصحيحة وما فازت به من مكانة في العالم وما يسرته من الاسباب الفنية للسيطرة على المادة اصبحت الثقافة الاسلامية في نظر الغربيين وحتى في نظر العديد من المثقفين المسلمين انفسهم وعند رجالات الحكم في العديد من الدول الاسلامية ثقافة قاصرة ، بتراء محدودة . واصبح المجتمع الاسلامي الذي كان في معظمه خاضعا لسيطرة الاستعمار الغربي ، مدعوا الى الايمان بالثقافة الغربية الموحدة الواحدة ، والى التعلق بما تبني عليه من علوم تقنية ، ان هو اراد الخروج من منزلته الوضيعة والفوز بمرتبة المجتمعات المتقدمة وباسباب الرقي الحضاري .

وهكذا شاعت في المجتمع المعاصر عقيدة تقوم على تصنيف التفاضل بين الثقافات ، بقدر ما بين كل واحدة منها وبين الثقافة الغربية المهيمنة من مسافة ونسبة ، واصبح للتفكير الانساني في جميع الاصناف الاجتماعية المعاصرة مرجع اساسي واحد ، وغمط ثقافي مشترك ، يشع من الولايات المتحدة الامركية على العالم بأسره ، ويشع من البلاد الغربية على سائر بلاد الدنيا . واصبح تقليد هذا النمط الامركي هو السبيل الفكرية الفذة الضامنة للنجاح ، بل راح للتقليد سلسلة متصلة الحلقات ما بين النمط — المرجع ، النابع من ثقافة الامركيين الشماليين ثم يؤثر بدوره في غمط البلاد الانقלוوسكسونية باروبا الغربية ، ويشع منها على البلاد اللاطينية ، ثم تأتي بلاد العالم الثالث في الحلقة الموالية من سلسلة التقليد للنمط الثقافي المهيمن .

ومن ابرز النتائج المترتبة عن هذه التسوية الثقافية المعاصرة ان تفرقت العناية عند المفكرين المسلمين بين محورين متمايزين من الاهتمام : هما من جهة محور القضايا الحياتية ما بين سياسية واقتصادية واجتماعية ، المتعلقة بحياة الفرد والمجتمع ، مما نفتقر في معالجتها الى العلوم العصرية الصحيحة ، ومحور القضايا الدينية والاحلاقية ، مما نعول فيه ، على علوم الدين ، مما به قوام الفلاح في الحياة الدنيا والفوز في الآخرة .

فكان لكل من هذين المحورين علماء مختصون ، وخبراء مهرة ، ومن ذلك اصبح للدين الاسلامي من الفقهاء في امور العقيدة ما يكاد لا يتميز عن الكنيسة وقساوستها في الدين النصراني ، ويقدر ما يمتاز به هؤلاء الفقهاء من سعة المعرفة بفقهاء العبادات بقدر ما يضعف اهتمامهم بمشاكل العصر وقضايا الحياة المادية ، ذلك ما لاحظته شخصيا من خلال بعض الاتصالات مع من نعتهم بلفظ «رجال الدين» عند قيامي منذ عشرين شهرا بالدعوة لهذا المشروع . كما لاحظت من جانب آخر ان عددا من المفكرين المسلمين

المتميزين بكفاءاتهم في الاحاطة بالقضايا الاقتصادية والاجتماعية القائمة اليوم في بلاد العالم والمستفحلة في بلاد العالم الثالث ، لا يرون هذه القضايا من صلة بالاسلام كعقيدة ولا كفكر او ثقافة ، ولا يعتبرون ان في عرض هذه القضايا على الفكر الاسلامي عونا يفيد في حلها او في تيسير الاحاطة ببعض جوانبها ، بل يرون في ذلك المقياس الديني زيادة في التعسير لقضايا لها من جانب معطياتها المادية الكافية من الاشكال .

ذلك من آثار الازدواجية المهيمنة بطابعها على الثقافة المعاصرة . وان ذلك التبويض وهذا الانقسام في مراكز الاهتمام الفكري بين «ما هو لله وما هو لقيصر» ، مظاهر بارزة لثنائية الثقافة العصرية الغالبة . ولا نحتاج الى التذكير بان الفكر الاسلامي فكر تأليفي وشمولي ، لا يقر الانفصال بين الانسان ، الحيواني ، الدنيوي «الذي يأكل الطعام ويمشي في الاسواق» وبين الانسان ، الروحاني الذي اختاره الله خليفة له في الارض . ولا يؤمن الاسلام بان للانسان اعمالا في الارض لا تتم السماء ولا أن له في قرارة نفسه حالات تعبدية لا تتصل بحياته الدنيا ، ولا تؤثر فيها .

هذه النظرة اللائثلافية لانسانية الانسان في جميع حالاته التعبدية وفي سائر مساعيه الحياتية هي الكفيلة بفتح باب الاجتهاد في عصرنا ، لاستجلاء موقف الفكر الاسلامي من امهات القضايا التي تشملها الازمة الحضارية القائمة اليوم ، بعد ان اتضح للمفكرين في العالم الغربي والشرقي على السواء ان الثقافة التقنية عاجزة بمفردها على طلب الحلول لهذه الازمة ، بل ان في استمرار هذه الثقافة بطابعها الحالي وبقاء المجتمع البشري على حاضر تمسكه بالتمط الحضاري المهيمن ، استفحالاً للازمة وتعميقاً لغازها وتعميرا لمقومات المشكلة .

من اجل ذلك كانت مبادرة المعهد الدولي للابحاث الاجتماعية مبادرة من جنس المغامرات الفكرية الصعبة ، وستكون الاجابة عن هذه المعادلة الشائكة من جانب المفكرين المسلمين وغير المسلمين اجابة عن احدى التحديات الفكرية الهامة في عصرنا . ذلك اننا جميعا ، ايا كانت عقيدتنا ، ومهما كان موقفنا الفكري من هذه العقيدة ، معنيون بما يؤول اليه المجتمع البشري المعاصر من ضعف الكفاءة الانسانية ، ومن استفحال التمزق الثقافي بجيلنا الحاضر وبالجيل المائل من ابنائنا ...

وبيدي ان مثل هذا الملتقى المحدود في عدد المشاركين به وفي الايام القلائل التي ستشهد مداواتنا لا يتسع لطرح جميع ما ينبغي اثارته من القضايا المتصلة بموقف الاسلام من التمط الحضاري المعاصر . وسوف لا يزيد املنا في هذا الملتقى على ان نتحسس جميعا لجوانب القضية الكبرى ، ونمهد للابحاث الطويلة الواجبة ، ونتدارس معا البرنامج الذي

يحسن ان نقيمه في صيغة مشروع على امد متوسط ولبعض سنوات ، تنصرف فيه نخبة من المفكرين الى تعميق الدرس وتدقيق الاحاطة ، حتى تكون الثمرة على قدر الرجاء ، ويرتفع الحوار الثقافي الى المستوى اللائق بجلال الموضوع .

سننصرف في هذه الايام الثلاثة القادمة الى ميدانين اثنين من ميادين الاهتمام :

1 — نقبل في معظم الجلسات الى تحليل ثلاثة اغراض فكرية كبرى : تتعلق اولاً بالثقافة الاسلامية في اصولها الاساسية ، بما لها من طابع التأليف والشمول ، وما تقوم عليه من السعي الى المعرفة والحث على ضبطها وتدقيقها ، وما تدعو اليه من الاجتهاد المستمر لتجديد المفاهيم والتأليف بين الاصل الثابت والمظاهر المستحدثة مما يترتب عن تطور الحياة .

وتتعلق ثانياً بما يكون للثقافة الاسلامية من موقف تجاه اوضاع المجتمع المعاصر فيما له من هياكل تنظيمية ، وما للانسان فيه من حقوق وواجبات داخل هاته الهياكل ، وما بين الدولة والفرد من علاقة .

وتتعلق ثالثاً بقضايا التنمية الاقتصادية والاجتماعية وما تدعو اليه من تشاور وحوار بين مختلف القوى في المجتمع المعاصر وما يمكن ان نستمدده من الفكر الاسلامي لاحكام السيطرة على هذه القضايا وللتقدم بها نحو الحلول السليمة المتماشية مع كرامة الانسان .

2 — ثم نخصص في المرحلة الثانية جانباً من الوقت للتشاور حول اقامة مشروع تعاون علمي على امد متوسط ولمدة ثلاث سنوات او خمس ، ينتظم فيه البحث العلمي حول جوانب العلاقة بين الثقافة الاسلامية والثقافة الغربية المهيمنة ، ومظاهر ما يتسنى من حوار لتصفية هاته العلاقة واثراء التعاون الفكري والحضاري لصالح المجتمع المعاصر .

ولعل قيام هذا المشروع العلمي في مستوى مؤسسة دولية كالمعهد الدولي للابحاث الاجتماعية هو الذي سيمكن من توسيع هذا التعاون بين المفكرين المسلمين ، ومؤسسات البحث في البلاد الاسلامية حتى يكون اكثر شمولاً واصدق تمثيلاً للعائلات الفكرية في الثقافة الاسلامية المعاصرة ، ذلك اني اجد الشعور عميقاً بان الاسلام الاسيوي الذي يمثل اليوم خمسة اسداس الامة الاسلامية ، جدير بان يكون له في سائر ديار الاسلام وفي البلاد العربية منها على وجه التخصيص صوت ابلغ نفاذاً ومساهمة اوسع شمولاً واعمق اثراً مما له اليوم . وكذلك الشأن بالقياس الى الاسلام الافريقي الذي يستحق ان يحظى من اهتمام المثقفين المسلمين بعناية اوفر مما يلقاه اليوم . ثم هل نحن على علم جميعاً وبالقدر

المطلوب من الاقتناع بما يشهده الاسلام في اروبا من تطور او في الشطرين الشمالي والجنوبي من القارة الامريكية .

نحن نأمل ان نصل من خلال هذا الملتقى الى جلب اهتمام مؤسسات البحث العلمي في البلاد الاسلامية وبصفة خاصة في مستوى الجامعات الاسلامية ، فان عددا عديدا منها في آسيا وفي امركا حافلة بالكفاءات العلمية ، زاخرة بالباحثين المقتدرين ، ممن سيرفعون الحوار الثقافي الى المقام اللائق بالاسلام ، لو توصلنا الى ربط الصلة بينهم والى استنهاض عزمهم لفائدة العلم ، والى تأليف جهودهم حول اغراض علمية مشتركة .

لقد تكرمت الامانة العامة لمنظمة المؤتمر الاسلامي على هذا الملتقى بعنايتها وباعانتها المالية ، التي لولاها ما كان يتسنى لهذا الحفل ان يلتقي ، ولا لهذا الحوار ان ينتظم . وقد كان في الحساب ان يشرفنا سيادة الامين العام بحضور جلسة افتتاح الملتقى مع عضده السيد الامين العام المساعد .

ونحن نأسف لخطورة الاسباب التي حالت دون مساهمته في اشغال الندوة ، ونرحب بعضده المحترم الدكتور ظفر الاسلام وسعادة السفير المحترم السيد احمد المبارك . وفي ذلك على المعهد الدولي للابحاث الاجتماعية دين ينبغي ان يعمل على الوفاء به ، يقتضيه ان يتجند للاغراض التي من اجلها اخذ على نفسه ان ينظم هذا الملتقى ، وان يرسم له ما رسم من اهداف . غير ان هذه المؤسسة الدولية انما هي اطار مؤاتي وبيئة مناسبة لا تستطيع بمفردها ومحض امكانياتها الفكرية والمادية ان تتهيء مشروعا من جنس الذي نرومه ولا ان توفر لنجاحه ما يتطلبه من اسباب فكرية ومن عون مادي .

والامر امر المفكرين المسلمين اولا وبالذات ، وامر المؤسسات الجهوية العلمية والسياسية المشتركة بين الاقطار الاسلامية . فاذا نحن خرجنا من هذا الملتقى مقتنعين بجدوى الحوار الذي يكون قد دار بيننا وبفائدة المسعى الذي نكون قد سلكنا فيه خطواتنا الاولى فان في ذلك حافزا لنا ان نعمل على تهيئة الاسباب وتيسير الوسائل لمواصلة هذا المسعى ، ولتجديد ذلك الحوار وتوسيع افاقه . والامل معقود ان نفوز في خطواتنا التالية بمثل ما فاز به المشروع الابتدائي في مرحلته الابتدائية . وان نتعاون مع اولي العزم والاخلاص من العلماء الغربيين وفي ديار النصرانية على استجلاء الصورة المشوهة التي تعمد الوسائل السمعية والبصرية الى نشرها وترويجها عن الثقافة الاسلامية ، في اوساط وبين امم تربطنا بهم اسباب المعاصرة ويهمننا كمسلمين ننتمي الى ثقافة القرآن ان نتخلص معرفتهم للاسلام من كل الشوائب والتحريفات . فان صدق المعرفة والاخلاص المشترك في طلب الحقيقة شرط اساسي لما نبتغيه بيننا من حوار ، ولما نعقد العزم على ان نتعاون فيه

من اصلاح للمجتمع ومن درء للاخطار المحدقة بالانسانية في عصرنا الحاضر . ذلك ان تغيير المنكر الذي يكتنفنا من كل جانب ، من اوكد واجباتنا كمسلمين مكلفين ، وقد امرنا الله سبحانه وتعالى بذلك ، فقال : « ولتكن منكم امة تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر » .

ذلك اننا في ديار الاسلام ، معنيون — بالقدر الؤفى — بما ينقلب اليه مستوى الاخلاق الفردية والعامه في الامم المعاصرة لنا . ومتأثرون بشروها وفتنها ، حتى ولو حرصنا نحن وفي ذات انفسنا ان نتخذ من دونها استارا او حجبا كثيفة .

فكما ان الامم المنتجة للنفط معنية بالنسق الذي تسير عليه مستويات الاستهلاك للطاقة في الامم الصناعية الكبرى ، بما يقتضيها ذلك من استنزاف عاجل لطاقتها الاحتياطية دون احتياج اكيد الى عائداتها المالية ، كذلك الشأن بالنسبة الى انخطاط الكفاءة الاخلاقية في المجتمع المعاصر ، لا نملك ان نتعزل بعيدا عن شروها ولا ان نحفظ انفسنا واهلينا من غواياتها المتعددة . ذلك ان عصرنا — بما وفرته الاكتشافات التقنية من اسباب المواصلات ومن نشر المعلومات الى جميع انحاء المعمورة وفي نفس الوقت ، قد غدا عصر التضامن الوجودي في الشأن والمنقلب بين جميع الامم المتعايشة . ذلك ما حمل احد المفكرين في الولايات المتحدة ان يقول :

« اننا قد انسلخنا اليوم او نكاد ، من مجتمع الاستهلاك لندخل في مجتمع الاعلام » .

يسرني ، في خاتمة هذا التقديم ان اتوجه بتحية التقدير والترحيب الى رجلين من رجالات الفكر العلمي في البلاد الغربية . احدهما هو الاستاذ الحكيم ( موريس بوكاي ) الذي وضع كتابا نزيها حول القرآن والفكر العلمي ، ثم ثناه بدراسة عن مظاهر علوم التشريح والحياة في القرآن . وقارن بين القرآن والكتب الاخرى للدرايان المنزلة فيما لكل واحد منها من علاقة بالعلوم اليقينية الصحيحة . اما المفكر الثاني فهو الاستاذ ( مرسل بوازار ) صاحب كتاب قيم عن « انسانية الاسلام » ، خصه لفحص جوانب الحضارة الاسلامية من انسانية الانسان ومن مراعاة لمنزلته الفذة بين المخلوقات .

انما عمدت الى ذكر هذين المفكرين الغربيين لانهما تفضلا بحضور ندوتنا هذه ، ولانهما لم يبخلا بالجهود الواجبة لاستقصاء ما في الفكر الاسلامي من جوانب ايجابية ، وكلاهما يمثل في نظري ما ينبغي ان يكون عليه العالم في زماننا الحاضر ، من النزاهة في البحث ومن الاخلاص للحق ، ومن التجرد عن الاهواء . وتلك سبيل الحكمة التي سار عليها ثلة من علمائنا المعاصرين في ديار الاسلام اكتفي بان اذكر من بينهم رجلين فقدناهما وشيكا احدهما الشيخ محمد عبد الله دراز وثانيهما هو الشيخ ابو علي المودودي ، كل هؤلاء سار على درب الحكمة عملا بقوله تعالى من سورة النحل : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتتي هي احسن » . صدق الله العظيم .

